ثلاثة مواقف أساسية

تحدد اتجاه 15 مايو

الأخبار: 20-5-71

بقلم: فيليب جلاب

أحد كتاب الافتتاحيات في صحيفة أمريكية هي الهيرالدتربيون كان أكثر زملائه في الغرب أمانة أو ربما حذراً. فقد بدأ مقاله إلى قرائه بأنه "لم يظهر" أوديب" الذي يحل آخر لغز لأبي الهول.." مشيراً إلى عجزه عن فهم ما جرى في مصر يومي الرابع والخامس عشر من مايو وما بعدهما.

وكل الأمور في عالمنا نسبية بما فيها وصف هذا الكاتب بالأمانة. ذلك أن الغالبية العظمى من كتاب وصحفيي الغرب حددوا منذ اللحظات الأولى بطريقة العالمين (الجهلة) ببواطن الأمور مسار الثورة المصرية وحركة الجماهير الشعبية بالطريقة المألوفة التي لم يكفوا عنها طوال الأعوام العشرين الماضية والتي لم تتجاوز سوى الأحلام، دون أن يتحول حلم واحد إلى حقيقة.

ولعله من قبيل الإنصاف أن نستثنى من عشرات الصحف الغربية بعض ما جاء في صحيفة لوموند الفرنسية التي قالت أن وصف ما حدث بأنه صراع بين يمين ويسار يوقعنا في أقصى درجات التبسيط.

وكذلك ما كتبته صحيفة "البوبيلو" الإيطالية بأن "ثمة اتفاقا في الرأي على أن القاهرة لا تفكر في تغيير سياستها الخارجية"

وكانت التايمز البريطانية أكثرهم ذكاء ووقاراً "فمن الخطأ- في رأيها- اعتبار عملية التصفية التي يقوم بها الرئيس السادات بمثابة انتصار لليمين على اليسار أو للحمائم على الصقور أو لأعوان الغرب على أعوان السوفيت.."

ورغم أن أنصاف الأعداء (وخاصة الإسرائيليين) من سمات الملائكة وليس من سماتنا إلا أنه لا بأس من الإشارة إلى قدرتهم على التمييز أحياناً أياً كان هدفهم من وراء ذلك وقد اشترك موشى ديان في إسرائيل، ويعقوب هيرتزوج مدير مكتب جولدا مائير (أثناء زيارة لاستراليا) في تحليل واحد تقريباً عندما أشار الأخير إلى أن إسرائيل لا تتوقع أي تغيير في استراتيجية مصر الخاصة بالشرق الأوسط في أعقاب أحداث مصر الأخيرة. وقال الأول أنه يرى أن لا صلة لهذه التطورات بموقف القاهرة من إسرائيل.

وقد كان ذلك كله للإنصاف أيضاً قبل أن يحدد الرئيس أنور السادات الموقف بشكل قاطع في خطابه في مجلس الأمة صباح الخميس الماضي لكن حتى بعد هذا التجديد القاطع

ستظل غالبية صحف الغرب ومن ينضوي تحت لوائها تطبق التكنيك أو الأسلوب القديم المألوف وهو محاولة الاحتضان الزائف في موجات متتابعة لأي قيادة وطنية لعلها تستطيع بالود المصنوع أن تأكل ثمار الثورة المصرية وحركة الجماهير أو تحرمها على الأقل على أصحاب الثورة أو جماهيرها.

ولماذا نغرق أنفسنا في التفاصيل الكثيرة المتشابكة التي تحيط عادة بكل الأحداث الهامة في حياة شعبنا وكل شعوب العالم؟

فمن بين كل الخيوط المتشابكة والتفاصيل الدقيقة يجب أن نهتم أولاً بالخطوط الأساسية التي ليس هناك مفاتيح سواها لفهم أو محاولة فهم الحركة العامة للأحداث أو للمجتمع في مرحلة زمنية محددة.

وفي مثل ظروفنا حيث يحتل العدو الإسرائيلي المدعم من الولايات المتحدة الأمريكية جزءاً من أرض الوطن، ليس هناك كما أعلن الرئيس السادات ما يمكن أن يسبق المعركة شعاراً أو تطبيقياً. ومعركتنا مع العدو ليست ترفا أو حادثا عارضا يمكن أن يعود الوئام بعده بين مصالح الاستعمار ومصالح شعوبنا. أن معركتنا هي تعبير مكثف عن صدام استراتيجي بيننا وبين العدو الصهيوني ومن ساندوه ويساندونه اليوم وغدا ولعل التحديد القاطع لموقفنا على لسان الرئيس السادات قد وضع الأمور في نصابها بالنسبة لأعدائنا وأصدقائنا.

والمعركة ليست كلمة جوفاء. ففي مثل ظروفنا أيضاً تتخذ المعركة الوطنية والثورة الوطنية أبعاداً اجتماعية يستحيل الفكاك منها.

فالذين يحاربون العدو على الحدود وخارج الحدود انطلاقا من موقف ومشاعر ومصالح وطنية، يحاربون بنفس الشجاعة معركتنا الاجتماعية في الداخل.

والذين لا يتزحزحون خطوة فى المواجهة الشرسة ضد الأعداء الأجانب لا يتخلون عن شبر واحد في خطوط الدفاع الداخلية من مكتسبات الشعب الاجتماعية والثورية منذ قوانين يوليو سنة 1961 حتى الآن حسم أنور السادات موقفنا من المعركة ذات البعدين الوطني والاجتماعي.

وفي المعركة ضد أعدائنا الكبار والصغار لم يعد هناك ما يستوجب التأكيد على الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي عامة أن الصداقة السوفيتية المصرية- والعربية أيضا- ليست مجرد ضرورة من ضرورات المعركة مع العدو ولكنها أصبحت من الضرورات القومية لصالح وطننا ولصالح الاتحاد السوفيتي في نفس الوقت.

وسيظل النموذج الفريد للصداقة بين دولة اشتراكية كبرى تؤمن بالشيوعية كايديولوجية نهائية وبين دولة وطنية معادية للاستعمار ترفع شعار الاشتراكية، إنجازاً من أعظم ما قدمه شعبنا وشعوب الاتحاد السوفيتي والقيادة هنا وهناك.

وكل ماعدا هذا من ترهات أجنبية لغو لا مكان له في مصر يصح فيه الصحيح فحسب.

وعندما تتأكد هذه الحقائق الأساسية وتخرج أو تقف وراءها ملايين الحناجر والسواعد يستطيع الإنسان أن يتجاوز بسهولة عن بعض أحلام المتسللين أو من يحاولون التسلل لإضفاء مطامحهم الخاصة أو أحلامهم القديمة المندثرة على حركة الجماهير أو على شعبنا الذي وصفه السادات بحق "بالأصالة والقدرة على التمييز" في كل الظروف. وعندما تتأكد هذه الحقائق في إطار من الديمقراطية وسيادة القانون والإحساس الصادق بالأمن لكل الذين مارسوا وسيمارسون وطنيتهم واشتراكيتهم بأقصى قدر من الأمانة أيا كانت اجتهاداتهم وطاقاتهم، فعندئذ تكتمل الصورة.

لعل الأمر المؤكد الآن أن "بهجة" الدوائر الغربية ستخفت يوماً بعد يوم وسنصل إلى مرحلة العبوس المتبادل بيننا وبين أعداء الوطن، وهي الحقيقة المؤكدة في كل زمان طالما أتسع هذا العالم لنا ولأعدائنا.

www.anwarsadat.org